الناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ودوره السياسي والعسكري في الدولة الأيوبيّة (569-581هـ/1137-1185م)

عبدالمعز بني عيسى*

ثابت عنزي العمري

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بشخصيّة أيوبيّة ساهمت إلى حد ما في تقوية نفوذ الأيوبيين في مصر ثم في البلاد الشّاميّة، وذلك من خلا ل تناول جهوده العسكرية كأحد أمراء الجيش في عهد السّلطان صلاح الدين، وتقديمه المشورة الحربية لابن عمّه السّلطان في أكثر من موقف، بالإضافة إلى دوره السياسي في إدارة الإقطاعات التابعة لمركز حكمه في حمص مثل: الرحبة، وسلمية، وغيرها، مع دراسة لحياته من حيث المولد، والنشأة، وتاريخ وفاته، وتعدد الروايات حول أسبابها. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أبرزها احتكام ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه إلى العقل في أغلب الأوقات من أجل الحصول على رضا ابن عمّه السّلطان صلاح الدين يوسف الذي ملّكه الكثير من الإقطاعات في البلاد الشّاميّة.

الكلمات الدالة: أسد الدين شيركوه، ناصر الدين محمد، صلاح الدين، حمص، الفرنجة، المواصلة، الحلبيين.

* **قسم التاريخ، جامعة البرموك.**

تاريخ تقديم البحث: 2021/5/21م. تاريخ قبول البحث: 2021/11/8م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2023 م.

Al-Naser Ad-Din Muhammad ibn Asad Ad-Din Shirkuh and his Political and Military Role in the Ayyubid Dynasty

(569- 581 AH / 1137- 1185 AD)

Abdul-Moez Bani Issa*

abdalmoiz.b@yu.edu.jo

Thabet Anzi Al-Omari

Abstract

The present study aims at investigating the Ayyubid figure, Al-Naser Ad-Din Muhammad ibn Asad Ad-Din Shirkuh, who had to some extent helped in strengthening the Ayyubid domination over Egypt and the region of the Levant through his efforts in the army as one of the leaders during the reign of his cousin Saladin and providing him with military advice in several situations. He had also played a significant role in running provinces of the government in Homs, including Rahba, Selmayah, and other regions. The study also explores his life, place of birth, growth, date of death, and the various narratives related to the causes of his death. The study reached a set of results, the most prominent of which was that Nasser Al-Din Muhammad bin Asad Ad-Din Shirkuh resorted to reason most of the time in order to obtain the approval of his cousin, Sultan Saladin Yusuf, who owned many fiefdoms in the Levant.

Keywords: Asad Ad-Din Shirkuh, Naser Ad-Din Muhammad, Saladin, Homs, The Franks;, Mowasaleh, , Aleppians.

* Department of History, Bermuk University.
Received: 21/6/2020. Accepted: 8/11/2021.
© All rights reserved to Mutah University, Karak, The Hashemite Kingdom of Jordan, 2023.

المقدمة:

اهتمت المصادر العربية بدراسة أحداث الدولة الأيوبيّة التاريخية منذ نشأتها سنة 569هـ/1173م، وحتى نهايتها سنة 648هـ/1250م، وركّزت هذه المصادر في معظم موضوعاتها على سلاطين وملوك بني أيوب الذين ينحدرون من سلالة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، وأوردت المصادر الأيوبيّة من جانبها مادة علمية تاريخية جاءت متناثرة في مصادر عربية نادرة، حيث تحدثت عن أبناء أسد الدين شيركوه، وذلك إذا ما قورنت بتلك التي تغطي مساحة واسعة لحكم صلاح الدين وأبنائه، حيث كان لأسد الدين وأبنائه الفضل الكبير في وضع أسس الدولة الأيوبيّة في الديار المصريّة، بعد نجاحه في الوصول إلى منصب الوزارة الفاطميّة سنة 564هـ/1168م، ومن ثم انتقال السلطة بعد وفاته إلى ابن أخيه صلاح الدين.

لم يحظ ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بدراسة متخصصة به، تضم في طيات صفحاتها حياته، ونشأته والأدوار السياسية والعسكرية التي قام بها، وساهمت في خدمة الدولة الأيوبيّة، وبعد الاطّلاع لم يظهر سوى ذكر لبعض الأحداث غير المتصلة مع بعضها البعض في أغلب المصادر العربيّة، فتارة تتناول بعض المصادر الحديث عن علاقته مع السّلطان صلاح الدين، وتارة تشير في مصادر أخرى إلى بعض أدواره العسكرية كأحد أمراء الجيش الأيوبي وحتى كتب التراجم التي تعرضت لسيرة ابن أسد الدين شيركو، لم توفه حقه من الترجمة، حيث جاءت مختصرة، وأهملت سنة ومكان مولده، ولم تتعرض إلى ذكر أدواره على الصعيدين السياسي والعسكري.

وفي ضمن هذا السياق تأتي هذه الدراسة في محاولة للوقوف على سيرة ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه من حيث الإسم والمولد، والنشأة، والصفات والوفاة، وكذلك استعراض الروايات التاريخية حول سبب تلك الوفاة، قبل أن يتم الانتقال إلى توضيح الأدوار السياسية والعسكرية التي ساهم من خلالها في تقوية نفوذ الأيوبيين في الديار المصريّة والبلاد الشّاميّة، مع الإشارة إلى بعض المحاولات التي نفّذها ابن أسد الدين شيركوه لاستعادة الحكم من ابن عمّه السّلطان صلاح الدين يوسف.

التمهيد:

حصل الأكراد من أولاد شادي بن مروان على المكانة العالية لدى الزنكيين، إذ تمكّن نجم الدين أيوب في عهد نور الدين زنكي من الوصول إلى ولاية بعلبك سنة 546هـ/1151م (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/44; Ibn Wāṣil, 1975: 1/109).

بينما أصبح أبو الحارث أسد الدين شيركوه بن شاذي (Ibn Khallikan,1975:12/480) يدبر أمر حلب وشؤونها، وإلى جانبه ابن أخيه صلاح الدين الذي منحه السّلطان نور الدين الإقطاعات في حلب بعد توصية من عمّه أسد الدين (Abo Shāmah,1997: 1/275; Al Dawādārī,1972: 7/6)، وأسند السّلطان كذلك أمر دمشق الى أسد الدين بعد نجاح حملته في دخول دمشق سنة 549هـ/1154م (Ibn Munqidd,2003: 68; Ibn Wāṣil, 1975: 1/125)، كما وأقطعه بالإضافة إلى ذلك حمص والرحبة (Ibn Kathīr, 1988: 6/438; Tawwahia, 2012: 6/4) .

أسند السّلطان نور الدين زنكي مهام أخرى إلى أسد الدين شيركوه كتقوية العلاقات الدبلوماسية مع أخيه قطب الدين صاحب الموصل، وكان ذلك في سنة 554هـ/1159م (Abo Shāmah,1997: 1/384) ، وأسند إليه كذلك إمرة الحج الشاميّ، إذ ترأس قافلة الحج من الشام نحو البلاد الحجازية سنة 556هـ/1160م (Abo Shāmah,1997: 1/390).

إن البداية الحقيقية للإفصاح عن النوايا الأيوبيّة في إعتلاء حكم الدولة الإسلاميّة في الديار المصريّة والبلاد الشّاميّة، تعود في فضلها إلى أسد الدين شيركوه والد ناصر الدين محمد، الذي احتلّ مكانة كبيرة لدى السّلطان نور الدين، حيث ارتقى إلى منصب قائد الجيش المتجه صوب الديار المصريّة ابتداءً من سنة 559هـ/1163م، وانتهاءً في سنة 564هـ/1265م ((Ibn Shaddad,1994: 32; Ibn Al Adim,1996: 344).

ارتبط دور أسد الدين في ذلك بمشاركة ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في تأسيس هذا الحكم من خلال جعله مقدمًا لعساكره وصاحبًا لرأيه، حيث كان لا يفصل في أمرٍ ولا يقرر حالاً إلا بعد مشورته، وأخذ رأيه، فلم يعتمد على أبنائه ابتداءً بفتح الدين بن أسد الدين بن أسد الدين شيركوه الذي توفي سنة 561هـ/1165م، وانتهاءً بناصر الدين محمد. (Ibn Al Atheer,1963: 120. Abo Shāmah, 1997: 1/414) فقد أسند شيركوه إلى ابن أخيه إدارة شؤون مدينة الإسكندرية سنة 562هـ/1166م (Abo al-Fidā, N.D.: 3/41; Al Yafii, 1997: 3/277).

دخل أسد الدين مصر ثلاث مرات، كانت المرة الثالثة سنة 564هـ/ 1168، حيث تمكّن من هزيمة الإفرنج وقتل الوزير شاور، ثم تولي منصب الوزارة في الدولة الفاطميّة. (Ibn ʻAsākir, 1995: 23/248; Ibn Shaddad,1994: 32. Ibn Al Ibri, 1997:185).

أصبح أسد الدين شيركوه الآمر الناهي في الديار المصريّة، ولكنه لم يمكث في منصب الوزارة سوى مدة قصيرة، إذ سرعان ما توفي في يوم السبت الموافق الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة 564هـ/1168م (Ibn ʻAsākir, 1995: 23/248; Ibn Khallikan, 1969: 2/479) ، وقد ذكر ابن الأثير أن ولايته كانت شهرين وخمسة أيام (Ibn Al Atheer, 1963: 10/16)، واتّضح أن من الأسباب التي أدت إلى وفاته كثرة تناوله للطعام، حيث كان شديد المواظبة على تناول الأطعمة ذات الدسم العالي كاللحوم، مما جعله يتعرض للإصابة بالتخم والخوانيق (Omar,2008: 1/704) ما بين الحين والآخر، حتى أصيب بمرض شديد واعتراه خانوق عظيم، تمكّن منه في نهاية الأمر (Ibn Al Atheer,1963: 10/16; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/154; Ibn Wāṣil, 1975: 1/167)

إن الهدف من المعلومات التي وردت في التمهيد توضيح لما قدّمه أسد الدين شيركوه والد ناصر الدين محمد، من خدمات جليلة ساهمت في بناء وتأسيس الدولة الأيوبيّة، والذي كان من المفترض أن تؤول زعامتها إلى ابنه ناصر الدين محمد، ولكن مجريات الأمور خالفت كل التوقعات، حيث آلت الزعامة في نهاية الأمر لصالح ابن عمّه صلاح الدين يوسف الذي كان ملازمًا لأسد الدين شيركوه في حملاته الثلاث إلى الديار المصريّة. ويستنتج أن استثناء ناصر الدين محمد من منصب الوزارة الفاطميّة خلفاً لأبيه أسد الدين قد يتعلق بقصر الفترة الزمنية التي تولّى فيها والده منصب الوزارة في الديار المصريّة، حيث لم تتجاوز فترة الشهرين وخمسة أيام، كما أشار ابن الأثير إلى ذلك، فلم يكن الوقت كافي أمامه حتى ينظر في مسألة توريث المنصب إلى ابنه، أضف إلى ذلك معرفة أسد الدين بقدرات ابن أخيه العسكرية التي ستمكّنه من المحافظة على مكتسبات الأيوبيين في مصر وذلك تمهيداً لتأسيس الدولة الأيوبيّة على أراضيها.

حياة ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه

اسمه وكنيته ومولده:

هو أبو عبد الله محمد بن الملك المنصور أبو الحارث أسد الدين شيركوه (Al Dhahabi, 2004: 3/3456; Al Safadi, 2000: 3/127; Al Nuʻaymī, 1990: 1/114)، بن شاذي بن مروان (Al Dhahabi, 2004: 3/3456) الابن الوحيد للملك المجاهد

أسد الدين شيركوه، والملقب بالملك القاهر ناصر الدين (Al Dhahabi, 2004: 3/3456; Al Safadi, 2000: 3/127)، وهو ابن عم السّلطان صلاح الدين يوسف (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/308; Al Dhahabi, 1985: 3/83)، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب (Ibn Taghri Bardi, 1936: 6/100)، صاحب حمص والرحبة. (Al Dhahabi, 2004: 3/3456; Ibn Kathīr, 1998:16/572)

تحدثت المصادر التاريخية للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أو تلك المصادر القريبة من عهد ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه عن سنة وفاته، وتعدّدت الروايات في تلك المصادر حول أسباب تلك الوفاة، ولكنها لم تتطرق أو تشير إلى ذكر سنة ولادته وتحديدها أو تقدير عمره عند وفاته، فغابت الدلائل والإشارات من تلك المصادر التاريخية بأنواعها الأولية والثانوية، وتبقى مسألة تحديد تأريخ ولادته مبنيّة على الاجتهاد والتقدير، لعدم وجود أدلة تاريخية قاطعة تؤكد سنة الولادة، ولكن في العودة إلى البحث في أزمنة بعض الأحداث المتعلقة بشخص ناصر الدين محمد، في كونه الابن الأكبر والوحيد لأبيه شيركوه، ثم زواجه من ست الشام شقيقة السّلطان صلاح الدين بعد سنة 545هـ/ 1150م، أي السنة التي أنجبت فيها حسام الدين من زوجها عمر بن لاجين (Al Safadi, 2000: 3/127; Ibn Kathīr, 1998:16/246)، وكذلك إنجابها للملك المجاهد أسد الدين شيركوه الثاني من زوجها ناصر الدين محمد سنة 569هـ/ 1171م (Al Zubaidi, 1983:37)، أي أن زواجها من زوجها الثاني ناصر الدين محمد كان قبل الإنجاب ببعض سنوات، وربما قبل توليّه حمص للمرة الثانية من قبل السّلطان صلاح الدين سنة 570هـ /1172م (Al Dawādārī, 1972: 7/29; Ibn Wāṣil, 1975: 2/35)

وقبل ذلك أي في عام 564هـ /1168م، وهي السنة التي توفي فيها والده أسد الدين شيركوه في مصر، منح السّلطان نور الدين زنكي إقطاع والده إلى ابنه ناصر الدين محمد في حمص، وما يتبعها من أعمال (Ibn Al Atheer, 2002:10/35; Abo Shāmah,1997: 2/118)، أضف إلى ذلك ارتباط ناصر الدين محمد بابن عمّه السّلطان صلاح الدين ومشاركته في الحروب التي خاضها ضد الإفرنج والمصريين التابعين للخلافة الفاطميّة ابتداءً من سنة 565هـ /1169م (Ibn Shaddad, 1994:85-86; Ibn Kathīr, 1998:16/263).

مما يدل على أن عمره كان يتجاوز سنّ البلوغ أي الثامنة عشرة، وربما تجاوز العشرين عامًا أو أكثر، حتى جعل نور الدين يسند إليه إدارة وحكم حمص، ومن ثم اعتمد عليه السّلطان صلاح

الدين في حملاته العسكريّة، وبالتالي يكون مولده قبل عام 545هـ/1150م، وما يعزز هذا التقدير، جلوس الملك العادل سيف الدين أبي بكر في عزاء ابن عمّه ناصر الدين عند وفاته سنة 581هـ/1185م (Ibn Shahnshah, N.D.: 228; Ibn Al Adim, 1996: 403)، وربما كان ذلك بسبب تقارب السن بينه وبين ابن عمّه المولود سنة 540هـ /1145م (Abo Shāmah, 1997: 1/168; Ibn Khallikan, 1969: 540)، هذا ولم تشر المصادر كذلك إلى تربيته ونشأته، ولكن يمكن تحّري ملامح النشأة والتربية من خلال المهارات التي اتّسم بها خلال وقوفه إلى جانب ابن عمّه السّلطان صلاح الدين يوسف، ومن المؤكد أنه تلقى التدريبات والتمارين القتالية على يد والده أسد الدين شيركوه أحد أمراء الجيش النوري، والمعروف بقدراته وإنجازاته على الصعيد العسكري (Abo Shāmah, 1997: 1/304; Ibn Wāṣil, 1975: 1/125).

وبالتالي فقد اكتسب المهارات العسكرية كونه مولود لأب عسكري، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للابن الذي سار على منوال والده، فإنجازاته العسكرية اللاحقة، خير دليل على كفاءته وقدرته العسكرية (Ibn Alqallansi, 1908:351-352; Okleh, and Tawwahia, 2014: 19) .

صفاته:

اتّصف ناصر الدين محمد بالشّهامة، والشّجاعة، والإقدام، وكانت له صفات أبيّه نفسها (Al Dhahabi, 2004: 3/3456; Al Safadi, 2000: 3/127) (Al Safadi, 2000: 3/127). و كان السّلطان صلاح الدين يخشى جانبه، لادعائه بأحقيّته في الحكم (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/308; Ibn Taghri Bardi, 1936:6/99)، وقد اتصف بالجرأة الكافية بسبب تطلعّه لتولي منصب السّلطنة (Al Dhahabi, 1985: 3/83; Ibn Al ʿImād Al Ḥanbalī, 1991:6/447)، كما كان له همّة أيوبيّة، أبرزتها مساهماته الكبيرة في الحفاظ على الكيان الأيوبي في الديار المصريّة، والبلاد الشّاميّة (Al Dhahabi, 1996:21/123).

أولادهُ وأحفاده:

خلف ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه من الأولاد الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه، ومولده كان في سنة 569هـ/1171م (Al Zubaidi, 1983: 37-83) ، وقد آل إليه الحكم في مناطق حمص، وتدمر، ووادي بني حصين، وزلبيان والرحبة، وسلمية (بلدة من أعمال حماه. انظر: Al Hamwi, 1977:3/240; Ibn Faḍl Allāh Al-Omarī, 2010: 3/363) ، وماكسين (بلد في الخابور من ديار ربيعة. انظر: Al Hamwi1977:5/43) في الخابور (الأرض

الرخوة ذات الحجارة، وهو اسم لنهر بن رأس العين والفرات، وهو كذلك ولاية واسعة فيها بلـــدان كثيرة. انظر: (Al Hamwi, 1977: 2/334)، وذلك بعد وفـــاة والـــده ســـنة 581هـ/1185م (Ibn Shahnshah, N.D.: 228; Ibn Khallikan, 1969: 2/470; Tawwahia, 2012: 6/6)وقد استقر الإقطاع فيما بعد يتوارثه أحفاد ناصر الدين محمد، ابتداءً من الملك المنصور إبراهيم، والملك المسعود، والملك الصالح إسماعيل، والملك الزاهر داود والد الملك الأوحد شـــادي (Ibn Khallikan, 1969: 2/481; Ibn Wāṣil, 1975: 2/35). ، ثم آل حكمها فيما بعد إلى الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم، حتى انتقلت في نهاية الأمر إلى الملك الناصر يوســـف الثانـــي ابن العزيز سنة 646هـ/1248م (Ibn Wāṣil, 1975: 2/35; Al Dawādārī, 1972: 7/80).

وفاتـــه:

توفي ناصر الدين محمد في حمص في التاسع من ذي الحجة في يوم عرفة من سنة 581هـ/1185م (Ibn Shahnshah, N.D.: 228; Albindari, 1997: 272. Al 'Ayny, 2010: 2/41)، يقول الداوادراي: "توفي الملك القاهر ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص، ليلة عيد الأضحى من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة" (Al Dawādārī, 1972: 7/80)، ودفن في التربة الحسامية في العونية في ظاهر مدينة دمشق، وأن من أمر بدفنه في تلك المقبرة كانت زوجته ست الشام شقيقة صلاح الدين (فاطمة خاتون بنت نجم الدين أيوب ، توفيت سنة (616هـ/ 1219م)، للمزيد انظر:(Ibn Al ʿImād Al Ḥanbalī, 1991:7/120) ، وهي شقيقة السّلطان صلاح الدين، كما أمرت ببناء قبّة على قبر زوجها وقبر ابنها حُسام الدين عمر بن لاجين (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/309; Al Dhahabi,1996: 41/122).

جلس العادل سيف الدين أبو بكر للعزاء في وفاة ابن عمّه، بينما السّلطان صلاح الدين كان منشغلاً بإتمام الصلح مع المواصلة (Ibn Shahnshah, N.D.: 228; Ibn Al Adim, 1996: 403)، ثم بعد أن فرغ من أمـــر الصلح، اتجـــه السّلطان إلى حمـــص فوصـــلها معزيًـــا، ومثبتًـــا لحكـــم المجاهـــد أســـد الـــدين بـــن ناصـــر الـــدين محمـــد (Abo Shāmah, 1997: 252. Al 'Ayny, 2010: 2/41)، ويبدو أن السبب وراء إســـناد أمـــر الإقطـــاع فـــي حمـــص، والرحبـــة، وتـــدمر، وسلمية لأسـد الـدين شـيركوه الثـاني، ونقـل أمـلاك ابـن عمّـه لابنـه، أن السّـلطان صـلاح الـدين لـم يكـن لديـــه

الرغبة في الدخول بصراع حول الحكم مع أبناء العمومة، وذلك نظرًا للخلفية التاريخية المتعلقة بالمطامع والمطامح التي كانت لدى والده ناصر الدين محمد (Bawaneh & Al Anagreh, 2012: 9/51).

وحول وفاته اختلفت الروايات التاريخية في ذكر سبب الوفاة، حيث أشارت بعض المصادر إلى أن وفاته حدثت فجأة، ومن غير مرض أصابه (Abo Shāmah, 1997: 3/244; Albindari,1997: 272. Ibn Taghri Bardi, 1936: 6/100)، وذكرت مصادر أخرى بأنه شرب الكثير من الخمر، فأرداه قتيلاً (Ibn Wāṣil, 1975: 2/174; Al Dhahabi, 1985: 3/83; Al 'Ayny, 2010: 2/41)، وقيل أن صلاح الدين هو من أمر بدسّ السمّ له، وقد عين له رجلاً يسمَّى الناصح بن العميد، فسقاه السمّ (AlNuwayrī, 2004: 28/259)، وذلك بعد أن أغضبه ناصر الدين محمد بعد مراسلته لأهالي دمشق أثناء مرضه سنة 581 هـ/1185م. ويقول ابن الأثير حول سبب وفاته:" فإنه شرب الخمر وأكثر منه، فأصبح ميتًا" (Ibn Al Atheer, 2002: 10/135; Ibn Wāṣil, 1975: 2/174). ولكن السبب الأكثر ترجيحا لدى معظم المؤرخين هو أن ناصر الدين قد أصيب بمرض حاد ومزعج، تمكّن منه في نهاية الأمر، وأدى إلى وفاته سنة 581هـ/1185م (Al Dhahabi, 1996: 41/152; Al Safadi, 2000: 3/127)، ويظهر أن الإكثار من شرب الخمر جعل ناصر الدين محمد يفقد حياته، وما جعله يقدم على ذلك فشل محاولاته في استعادة حقه في تولّي حكم الدولة الأيوبيّة، وقد كان آخر تلك المحاولات في سنة 581هـ/1185م، وذلك عندما استغلّ مرض ابن عمّه السّلطان وهمّ من جانبه بالاستيلاء على دمشق، وقد ذكر ذلك عدد من المؤرخين أمثال: ابن الأثير وابن العديم وأبو الفداء وغيرهم.

ترك ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وراءه من الأموال والذخائر الشيء الكثير، أي ما يقدّر بزيادة على مليون دينار (Ibn Wāṣil, 1975: 2/175; Al 'Ayny, 2010: 2/41)، ويذكر أبو الفداء أن ناصر الدين محمد قد خلّف وراءه الشيء الكثير من الأموال، والدواب، والخيل، والآلات، وغيرها(Ibn Al Atheer, 2002: 10/135; Abo al-Fidā, N.D.: 3/70).

وعند وصول السّلطان صلاح الدين إلى حمص نصّب ابنه المجاهد أسد الدين أميرًا عليها خلفًا لوالده ناصر الدين محمد، وكان عمره آنذاك اثنتي عشر سنة، ومن ثم قام بتقسيم التركة التي خلفها وراءه، حيث قسّمها بين أولاده وزوجته شقيقة السّلطان صلاح الدين (Ibn Shaddad,1994: 71;

Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/309; Tawwahia, 2012: 6/6). بينما يذكر ابن الأثير أن صلاح الدين عندما حضر إلى حمص، استعرض تركة ابن عمّه ناصر الدين محمد، فأخذ أكثرها، ولم يترك للورثة إلاّ ما لا خير فيه" (Ibn Al Atheer, 2002: 10/135; Al 'Ayny, 2010: 2/41)، ويؤكد النويري ما ذهب إليه ابن الأثير من أن صلاح الدين اقتسم تركه ناصر الدين محمد مع الورثة، والدليل على ذلك ما قام به السّلطان من تعويض ابنه شيركوه الثاني من الضيع الخراب في الشام لقاء الأموال التي أخذها السّلطان لنفسه (Al Nuwayrī, 2004: 28/259)، والأقرب إلى الحقيقة أن صلاح الدين لم يلتفت إلى اقتسام التركة مع ورثة ابن عمّه، لا سيما وأن من بينهم شقيقة السّلطان صلاح الدين، والتي هي زوجة ناصر الدين محمد، وفي هذا الصدد يذكر ابن واصل: "وقسّم السّلطان الميراث عند قدومه حمص، فصرف إلى زوجة ناصر الدين من الأموال والذخائر الثُمن، ثم قسّم الباقي بين أسد الدين وإخوته على مقتضى الشّريعة" (Ibn Wāṣil, 1975: 2/175).

يستنتج مما سبق أن صلاح الدين قد أقرّ بإبقاء اقطاعات ناصر الدين محمد في يد ابنه المجاهد، تقديراً منه لجهود الأب خلال الحروب التي شارك فيها إلى جانب صلاح الدين ضد الإفرنج في البلاد الشّاميّة على وجه الخصوص، وتلك التي كانت من أجل توحيد الجبهة الإسلاميّة عند بداية تأسيس الدولة الأيوبيّة في الديار المصريّة.

الظروف والعوامل التي ساهمت في إخراج ناصر الدين محمد من دائرة المنافسة مع صلاح الدين في الحصول على منصب الوزارة الفاطميّة في الديار المصريّة.

هناك إشارات تبدو واضحة في تثبيت صلاح الدين في الحكم، وتفضيله على ابن أسد الدين شيركوه خاصة وإن كانت هذه الإيحاءات صادرة عن أسد الدين الوالد، الذي ألحّ على السّلطان نور الدين زنكي في إقناع صلاح الدين بالمسير إلى مصر، بقوله لنور الدين: "لا بد من مسيره معي" (Ibn Al Atheer, 2002: 10/17; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/149)، وقول نور الدين لصلاح الدين: "لا بد من مسيرك مع عمك (Ibn Al Atheer, 1963: 141; Abo Shāmah, 1997: 1/52)، لذا فإن أسد الدين قد اصطحب ابن أخيه معه إلى مصر، فجعله مقدمًا لعساكره وصاحبًا لرأيه (Ibn Shaddad,1994: 76).

تولّدت الرغبة كذلك لدى أسد الدين بأن يكون صلاح الدين لا ابنه ناصر الدين محمد، من يخلفه في المنصب الوزاري الذي بسببه استقر حكم الديار المصريّة في يده وبلا منازع، فاستبدّ بالولاية، وجعل من ابن أخيه صلاح الدين مدبرًا لأمر الدولة ومقررًا لها، بسبب كفاءته ودرايته وحسن سياسته(Ibn Al Atheer, 1963: 141; Ibn Wāṣil, 1975: 1/165) ، يقول ابن شداد:" وفوّض الأمر بعده إلى صلاح الدين، واستقرت القواعد واستتبت الأحوال على أحسن نظام"، ويذكر ابن شدّاد أيضًا أن أسد الدين شيركوه قد أوصى بالأمر إلى ابن أخيه صلاح الدين بعد موته .(Ibn Shaddad,1994: 40; Ibn Wāṣil, 1975: 2/168)

وإذا عدنا إلى أمراء نور الدين زنكي الذين رافقوا الحملة العسكرية الثالثة إلى مصر سنة 564هـ /1168م، أمثال: عين الدولة الياروقي، أحد أمراء نور الدين زنكي، نجده قد رفض الانضمّام إلى جانب صلاح الدين في توليته للوزارة في مصر. (Ibn Al Wardi, 1996: 2/74) ، ومن الأمراء كذلك شهاب الدين الحارمي، والفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري (ضياء الدين عيسى بن محمد بن أحمد بن أبي طالب، أحد الأمراء في الدولة الصلاحية، توفي سنة 585هـ/1189م. انظر:Al Safadi, 2000: 23/170)، وغيرهم، نجد أن هؤلاء قد انضمّوا في نهاية الأمر إلى جانب صلاح الدين باستثناء قطب الدين ينال المنبجي، وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب (سيف الدين علي بن أحمد الهكاري، أحد أمراء صلاح الدين، توفي سنة 588هـ /1191م. انظر: Al Dhahabi, 1996: 41/302)، وكذلك الياروقي الذي غادر مصر نحو بلاد الشّام (Ibn Al Atheer, 1963: 142; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 1/150)، ولم تشر المصادر العربية إلى أن هناك انقسامًا قد حصل في مسألة التأييد لصلاح الدين أو لابن عمّه ناصر الدين محمد بن شيركوه، فإن كان قد حدث خلاف، فالأمر يتعلق بالمفاضلة بين السّلطان نور الدين وبين صلاح الدين يوسف، فلم يكن اسم ناصر الدين محمد مطروحًا على طاولة المفاوضات التي أدارها عيسى الهكاري كمحاولة منه لإقناع الأمراء وكبار الأعيان المرافقين للجيش الزنكي بالوقوف إلى جانب صلاح الدين في الديار المصريّة (Ibn Al Adim, 1996: 35; Abo al-Fidā, N.D.: 3/47).

لا سيّما وأنَّ السّلطان نور الدين قد أضعف من مكانة ناصر الدين محمد في بلاد الشام، وذلك بعد أن قام بتجريده من إقطاعات أبيه في بلاد الشام، فبعد أن توارت الأخبار إلى مسامع السّلطان نور الدين، أن صلاح الدين قد استحكم أمره في الديار المصريّة، واستقل بها عن البلاد الشّاميّة، ولم يعد يلتفت إلى سلطانه في دمشق، أسرع نور الدين زنكي إلى انتزاع ممتلكات أسد الدين شيركوه في بلاد الشام، فصادر اقطاعات حمص والرحبة من ولده ناصر الدين محمد، وأعفى كذلك العمال من

وظائفهم، ثم منحه تل باشر، ولم يمض فترة وجيزة حتى استردها منه (Abo Shāmah, 1997: 3/244; Ibn Khallikan, 1969: 2/480).

يبدو مما سبق ذكره أنَّ ناصر الدين محمد بن شيركوه قد أيقن تمامًا صعوبة الحصول على منصب الريّاسة الأيوبيّة مع تزايد قوة ابن عمّه صلاح الدين في الديار المصريّة، وانحياز الجميع بما فيهم العساكر النورية وأمرائها إلى جانبه، ودخول الأهالي في طاعته؛ ومبايعة أمراء البيت الأيوبي له بالحكم، وعلى رأسهم والده نجم الدين أيوب عميد الأسرة الأيوبيّة، وكذلك اهتمام الخليفة العباسي بشخص صلاح الدين، إذ أرسل إليه خلعة سنية بعد تمكّنه من إعادة الخطبة العباسيّة على المنابر المصريّة (Ibn Wāṣil, 1975: 1/221; Ibn Kathīr, 1998: 16/454). فناصر الدين محمد لم يكن لديه مخططاً واضحاً من أجل الوصول إلى عرش السّلطنة على الرغم من كونه ابن أسد الدين شيركوه الذي استولى على الديار المصريّة، ووريثه الشرعي في الحكم، و قد تحدث الحايك في دراسته بأن ناصر الدين محمد قد وجد نفسه يقف أمام شخصية استثنائية، حيث أن منافسه ليس بالخصم العادي، فصلاح الدين يتفوق عليه بالمؤهلات الشّخصية، وبالانتصارات العسكرية، الأمر الذي جعلت منه بطلا للأمة الإسلاميّة جمعاء (Al Hayek, 2011: 82).

واستنادًا إلى ما تم ذكره فإن ناصر الدين محمد قد وجد نفسه في بداية الأمر رجلاً لا يستطيع الوقوف في وجه ابن عمّه صلاح الدين، من أجل المطالبة بحقه في وراثة أبيه في منصب الوزارة الفاطميّة في الديار المصريّة، وإنما ترك أمر ذلك إلى فيما بعد حتى يتسنى له الفرصة في المطالبة بحقه في الحكم.

وبناءً على ذلك فإن صلاح الدين وإن امتلك المؤهلات والقدرات المهاريّة في الجانب العسكري، وبالتالي جعلته ينفرد بزعامة الأسرة الأيوبيّة، إلاّ أن تهميش ناصر الدين محمد والذي يتصف بالشجاعة والجرأة الكافية كما ذكرنا سابقاً من قبل المسؤولين، وأخصّ بالذكر أمراء الجيش الزنكي المرابط في مصر منذ سنة 564هـ/1168م، وعدم اكتراثهم كذلك بما صنعه والده أسد الدين في الديار المصريّة، كان وراء اقصاء ناصرالدين محمد عن تولّي منصب الوزارة أولاً ثم حكم الدولة الأيوبيّة ثانياً، فليست المؤهلات ولا الانتصارات العسكرية التي حققها صلاح الدين وحدها كانت سبباً في تفوقه على ابن عمّه ناصر الدين محمد بن شيركوه.

وهذا ما دفع بابن أسد الدين شيركوه ليكون قريبًا من السّلطان صلاح الدين، فصاهره بالزواج من ست الشام شقيقة السّلطان (Abo Shāmah, 1997: 119; Al Hayek, 2011: 83)، وانخرط كذلك بين صفوف أمراء البيت الأيوبي في وقوفهم خلف صلاح الدين في مواجهة جيش نور الدين زنكي الذي هدّد الحكم الأيوبي في مصر، الأمر الذي جعل صلاح الدين يقوم بجمع أهله وابناء العمومة وسائر الأمراء، ومن بينهم ناصر الدين ابن شيركوه لعقد اجتماع، واتخاذ قرار في هذا الأمر (Ibn Al Atheer, 1963: 158; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/172)، ولكن المصادر لم تركز على ذكر الأسماء المشاركة ومنهم ناصر الدين في هذا الاجتماع الأسري، وإنما أشارت إلى الحضور الجماعي للأمراء الأيوبيين، مع الإفصاح عن تبيان دور كلٍّ من نجم الدين أيوب، والحارمي خال صلاح الدين في إدارة هذا الاجتماع، ولربما كان هذا الحضور الأول لناصر الدين محمد على الساحة الأيوبيّة بصفته كأحد أمراء الدولة الأيوبيّة، وكان ذلك في سنة 567هـ/1171م (Ibn Al Atheer, 1963: 158; Ibn Al Adim, 1996: 335).

الدور السياسي لناصر الدين محمد:

استتبت الأمور للسلطان صلاح الدين في البلاد الشّاميّة، وقبل أن يعود إلى الديار المصريّة سنة 572هـ/1167م؛ قررّ إبقاء العديد من الأمراء الأيوبيين كنواب له في بلاد الشام، وكان من بينهم ابن عمّه ناصر الدين محمد الذي ملكّه العديد من الإقطاعات في الرحبة وأعمالها وحمص وغيرها(Ibn Khallikan, 1969: 2/480)، فتلك المناطق بحاجة إلى من يدبر شؤونها، ونستدل على ذلك من خلال الأبيات الشعريّة التي نظمها العماد الأصفهاني يوم خروجه من دمشق عائدًا إلى مصر بصحبة السّلطان صلاح الدين، وهذه الأبيات خصّت ابن أسد الدين شيركوه، نذكر منها:-

مالي أفارق مَلْكًا مَّلكتُهُ آمالي

يا ناصر الدين قلبي عليه في بَلْبَال

(Albindari, 1979: 86; Abo Shāmah, 1997: 2/411)

وفي هذه الأبيات الشعرية إشارة واضحة لقدرات ناصر الدين محمد في ضبط أمور تلك الإقطاعات التي منحها السّلطان له، والإشراف على تنفيذ المشاريع الاقتصادية، وصيانة البنى التحتية التي تتعلق بأمور الريّ، وحفر القنوات و السدود، وعمل الأقنية، و بناء الجسور (Tawwahia, 2012: 6/6). وربما كانت الإشارة واضحة في الأبيات الشعريّة التي أنشدها

الأصفهاني، حيث جاءت للإشادة بحاكمية ناصر الدين محمد في إدارة إقطاعه، وحرصه كذلك على إقامة العدل، ورفع الجور عن المحكومين القاطنين ضمن مناطق نفوذه، مما يدل على الكفاءة الإدارية التي كان يتحلّى به في إدارته للمناطق الواقعة ضمن سلطته، هذا بالإضافة إلى ما كان يترتب على صاحب الاقطاع من توفير العساكر التي سوف تنضم إلى جانب جيش السّلطان في الحروب.

أما في الشأن العباسي، فقد نال ناصر الدين محمد الحظوة لدى الخلافة العباسيّة في بغداد، ويبدو أن الاهتمام به كان تقديرًا للجهود التي بذلها والده أسد الدين في دعم الخلافة العباسيّة خارج حدود العراق، وذلك من خلال البطولات العسكرية التي حققها ضد الإفرنج الطامعين بممتلكات الدولة العباسيّة في البلدان الإسلاميّة التابعة لدار الخلافة، حيث واظب الخلفاء العباسيون على تكريم ابن أسد الدين شيركوه، فبعد الجهود التي بذلها في حصار الكرك سنة 568هـ /1172م (Al'asfihani, 1987: 5/152; Ibn Shaddad, 1994: 114; Al 'Ayny, 2010: 1/111)، وصلت رسل الخليفة العباسي تحمل الخلع للسلطان صلاح الدين، وكذلك ناصر الدين محمد بن أسد الدين، فتقدم السّلطان بإلباس ابن عمّه خلعة الخلافة (Ibn Shaddad, 1994: 115; Al Dawādārī, 1972: 7/78).

وفي سنة 570هـ/1174م، حظي ناصر الدين محمد بتشريف عباسي يقارب التشريف الذي منحه الخليفة العباسي للسّلطان صلاح الدين، تضمن الخلع والهدايا، التي حملها رسل الخلافة ووصلوا بها إلى السّلطان في حماة (Albindari, 1979: 88; Ibn Wāṣil, 1975: 2/34). ثم تمّ تكريم ابن أسد الدين شيركوه بخلعة سنية من قبل الخليفة العباسي سنة 574هـ/1178م و ذلك أثناء تواجده مع السّلطان صلاح الدين في دمشق (Al'asfihani, 1987: 3/147; Al 'Ayny, 2010: 1/271)، ويبدو أن تكريم الخلافة العباسيّة لابن أسد الدين شيركوه قد ساهم في زرع الثقة بنفسه بعض الشيء حتى اعتقد بأنه يتساوى مع ابن عمّه السّلطان صلاح الدين، حيث ظهرت منه تصرفات تجاهل بها تبعيته إلى السّلطان في بعض الأحيان، كما ورد في النص المنقوش على الحجر، وهو من ابنية ناصر الدين محمد، ويعود النقش إلى سنة 576هـ/1180م، وينعت نفسه فيه بسيف أمير المؤمنين (Al Hayek, 2011: 81-82).

انتهى دور ناصر الدين محمد السياسي في حكمه لمناطق حمص، والرحبة، وغيرها بوفاته، وانتقال ما كان تحت يده من أملاك وسلطات إلى ولده أسد الدين شيركوه

(Ibn Khallikan, 1969: 2/480)، وذلك من خلال مرسوم سلطاني صادر عن القاهرة يقضي بتثبيت ابنه في الاقطاعات التي كان يملكها والده ناصر الدين محمد (Al Dawādārī, 1972: 7/81; Ibn Kathīr, 1998: 16/572).

ولم تنفع محاولات ناصر الدين محمد قبل وفاته بأشهر قليلة في الحصول على دمشق سنة 581هـ/1185م، حيث كان لمرض صلاح الدين أثناء عودته إلى حرّان: (تقع على طريق الموصل والشام بينها. انظر:2/235 ,Al Hamwi, 1977:)، وإبرامه كذلك لإتفاقية الصلح مع عز الدين مسعود (مسعود بن ممدود بن أتابك زنكي، صاحب الموصل، توفي سنة 589هـ/1191م. انظر: Al Safadi, 2000: 25/266) ، إذ اشتد به المرض، الأمر الذي أفسح المجال أمام ابن عمّه ناصر الدين محمد بالتفكير في استعادة بعض المكاسب السّياسية التي فقدها بعد موت أبيه أسد الدين، ووصول صلاح الدين إلى سدة الحكم، فحاول ناصر الدين محمد من جهته استمالة أعيان مدينة دمشق (Al Nuwayrī, 2004: 28/259) ، وراسلهم من أجل تسلمّها إذا ما مات صلاح الدين، حيث غادر ناصر الدين محمد حرّان متجهًا نحو حمص، وقيل أنه اجتاز حلب، وفرّق على أحداثها الأموال، ثم وصل حمص (Ibn Al Adim, 1996: 403; Al Nuwayrī, 2004: 28/259) ، وفيها أجرى اتصالاته مع الدمشقيين على أخذ دمشق، ولكن الأمر لم يتحقق بسبب شفاء السّلطان من مرضه، وقد سبّب ذلك لابن شيركوه الهمّ فقتله (Ibn Al Atheer, 2002: 10/135; Al Nuwayrī, 2004: 28/259).

يستنتج مما سبق أن المساحة التي أنيطت بحكم ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه لم تتجاوز مناطق حمص وأعمالها، كما لم ينجح في انقلابه على ابن عمه السلطان صلاح الدين، حيث فشلت مخططاته بالسيطرة على دمشق وحلب، فلو نجح في مساعيه و استولى على دمشق حاضرة بلاد الشام لتمكن من تهديد مركز السلطان صلاح الدين في حكم الدولة الأيوبية التي تدار من القاهرة في مصر، ولربما استقلّ بحكم بلاد الشام بعد فصلها عن جسم الدولة، ولكن الأمور لم تجر كما توقع نتائجها ناصر الدين محمد، الأمر الذي تسبب في إحباطه وجعله يصرف النظر عن إعادة الكرّة في الوصول إلى الحكم.

الدور العسكري لناصر الدين محمد:

انضمّ ناصر الدين محمد بن أسد الدين إلى جانب صفوف جيش السّلطان صلاح الدين منذ تسلّمه الحكم في الديار المصريّة زمن الفاطميين، إذ شارك في الدفاع عنها أمام هجمات الإفرنج

التي بدأت على دمياط (مدينة بين تنيس ومصر تقع على الزاوية بين البحر المتوسط ونهر النيل. انظر: (Al Hamwi, 1977: 2/472; Al Qazwini, N.D.: 193) وذلك في سنة 565هـ1169م (Ibn Al Atheer, 2002: 10/22)، فأصبح ناصر الدين محمد أحد الأمراء في جيش صلاح الدين، يخرج معه لقتال الإفرنج، هو وسائر أمراء البيت الأيوبي، فعندما غزا صلاح الدين المناطق التابعة للحكم الإفرنجي في عسقلان، والرملة، وأيلة، أي في سنة 566هـ/1170م، كان ناصر الدين محمد يقاتل إلى جانبه بضراوة دفاعًا عن البلدان الإسلاميّة، ولم يتوان كذلك عن المشاركة في الحملة العسكرية التي شنّها صلاح الدين على الإفرنج في الكرك والشوبك سنة 568هـ/1172م (Ibn Shaddad, 1994: 86; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/185; Albindari, 1979: 124).

وشارك كذلك إلى جانب ابناء العمومة من أمراء البيت الأيوبي في القضاء على الثورة التي قادها مؤتمن الدولة وأتباعه من السودانيين سنة 565هـ /1169م في الديار المصريّة (Al Dawādārī, 1972: 7/44)، ثم انضمّ إلى جانبهم في القضاء على ثورة عباس بن شاذي التي انطلق بها من أراضي الصعيد سنة 570هـ /1174م، حيث ثار في قوص (إحدى مدن الصعيد في مصر ومن البراري الكبار فيها. انظر: (Al Hamwi, 1977: 4/413)، وقام بنهب أموالها، وأحدث فيها الخراب.

كما ساهم في القضاء على ثورة كنز الدولة والي الأيوبيين في أسوان(Ibn Al Atheer, 2002: 10/64; Ibn Shaddad, 1994: 89) ، وانضمّ كذلك إلى جانب صلاح الدين في حملته على بلاد الشام سنة 570هـ/1174م، حيث تمكّن الجيش الأيوبي من الاستيلاء على مناطق صرخد، وبصرى، وهي من أعمال دمشق، ويشير أبو شامة في أحد الكتب التي بعثها صلاح الدين إلى مصر يبشِّر فيها بفتّح بصرى وصرخد، حيث ذكر التقائه بناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه؛ وإلى جانبه الأمير سعد الدين بن أعز، ويقول: "وكان رحيلنا من بصرى، وقد توجّه صاحبها من بين أيدينا قائمًا بشروط الخدمة ولوازمها. ثم لقينا الأجلّ ناصر الدين بن المولى أسد الدين.... ثم نزلنا بجسر الخشب والأخبار الدمشقية إلينا متوافية". (Abo Shāmah,1997:1/341)

وقد وصل ناصر الدين محمد إلى جانب السّلطان صلاح الدين مدينة دمشق، وذلك بعد مراسلة أمراء دمشق، وعلى رأسهم ابن المقدم لصلاح الدين على القدوم وتسلم المدينة، فتمّ له ذلك

سنة 570هـ/1174م (Ibn Shaddad, 1994: 92; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/228; Baybers Almansuri, 1993:3)

حضر ناصر الدين محمد كذلك فتوح حمص وحماة (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/230; Al Nuwayrī, 2004: 28/250)، واشترك في قتال المواصلة والحلبيين سنة 570هـ/1174م، حيث تجاوز عددهم الواحد وعشرين ألف مقاتل، وكان على رأسهم سيف الدين الزنكي صاحب الموصل، وقد تمكّن الأيوبيون من هزيمتهم، ثم انضمّ ابن شيركوه إلى جانب ابن عمّه في حصار حلب، ففاوضوه على الصلح، وتنازلوا له عن المعرّة (مدينة بين حلب وحماه من أعمال حمص. انظر: Al Hamwi, 1977: 5/156)، وكفرطاب (بلدة بين المعرة وحلب. انظر: Al Hamwi, 1977: 4/470) وبارين(بين حلب وحماه. انظر: Al Hamwi, 1977: 1/321) ، هذا وقد أنعم السّلطان صلاح الدين على ابن عمّه ناصر الدين محمد بإقطاع حمص لجهوده الكبيرة في حربه ضد المواصلة والحلبيين سنة 570 هـ/1174م (Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/231; Ibn, Wāṣil, 1975: 2/35) ، وتتوالى الاشتباكات بين الطرفين، وابن أسد الدين شيركوه يقف إلى جانب ابن عمّه السّلطان كعادته، وقد ارتفعت مكانته في حضرة السّلطان، وأبى أن يتفق مع الحلبيين على حساب ابن عمّه ناصر الدين محمد، إذ وافق لهم على التنازل عن بعض الحصون الشّاميّة، باستثناء الرحبة وأعمالها التي طلبوها مقابل الصلح (Ibn Al Adim, 1996: 366; Ibn Kathīr, 1998: 16/505)، حيث ردّ عليهم قائلاً: "هي لابن عمي ناصر الدين محمد بن شيركوه، وكيف ألحق به في رضاكم المكروه" (Abo Shāmah, 1997: 2/378; Albindari, 1979: 86)، الأمر الذي أغضبهم، وكان سببًا وراء تصميمهم على قتال السّلطان والعساكر الأيوبيّة في قرون حماة، فدارت الدائرة عليهم، وتمكّن المصريون في النهاية من إلحاق الهزيمة بهم، وقد أظهر ناصر الدين محمد من جانبه شجاعة كبيرة في قتالهم، مما جعل العماد الأصفهاني ينظم قصيدة مدح فيها ابن شيركوه، حيث قال:

عبيتها بعزيمةٍ شفوعة بالنصرِ منك تعينها الأقدار

لم يخشَ من خطر الهوىٰ حتى حمى ذاك القَوَامَ شبيهُهُ الخطَّارُ

يذْري الدُّموع كأنّهن عوارفٌ لابن المملَّك شيركوه عِزارُ

(Abo Shāmah, 1997: 2/190; Albindari, 1979: 86)

وهذا ما جعل صلاح الدين يصرّ على رأيه في عدم إلحاق الأذى بابن عمّه ناصر الدين محمد، أو حتى المساس بممتلكاته، إذ رفض للمرة الثانية مقايضة الحلبيين والموصليين الصلح مقابل منحهم الرحبة وأعمالهم، وقد رفض طلب سعد الدين كمشتكين، وقال له: "هي لابن عمي، ولا سبيل إلى أخذها، بينما جاءت في كتاب مفرج الكروب على الشكل التالي: "هي لابن عمي ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، ولا سبيل إلى الإضرار به (Abo Shāmah, 1997: 2/382; Ibn Wāṣil, 1975: 2/32) ، وفي هذا الصدد يذكر ابن كثير قائلاً: "قال صلاح الدين في الرحبة التي هي بيد ابن عمّه ناصر الدين، ليس لي ذلك، ولا أقدر عليه (Ibn Kathīr, 1998: 16/505; Al 'Ayny, 2010: 1/200).

ساهم أيضاً ناصر الدين محمد بدوره في القتال الذي جرى على قرون حماة، إذ حارب إلى جانب ابن عمّه تقي الدين بن شاهنشاه، وأبلى في هذه الواقعة بلاءً حسنًا، ثم رافق السّلطان في حصار قراحصار، وصالحوا صاحبها، ثم عاد إلى جانبه نحو حماة، وفيها تم تكريم ابن أسد الدين شيركوه من قبل الخليفة العباسي والسّلطان، حيث وردت التشريفات والتقليد بالولايات سنة 570هـ/1174، وإلى جانبها الخلع والهدايا، فخصّ ناصر الدين محمد بمزيد من التفضيل على أقارب السّلطان وأمراء البيت الأيوبي، وكأنه رعاية لحق والده أسد الدين، وكذلك مجهود ابنه الحربي في توسيع نطاق الدولة الأيوبيّة (Ibn Shahnshah, D.N.: 25; Albindari, 1979: 86; Al Dawādārī, 1972: 7/69)، ولم يكتف صلاح الدين بالخلع، وإنما أنعم عليه كذلك بحمص كإقطاعٍ جديدٍ يدخل ضمن ممتلكات ابن عمّه الشّاميّة (Ibn Al Atheer, 2002: 10/70; Ibn Al Adim, 1996: 368).

ولم تنته الحروب بين الأيوبيين وبين المواصلة والحلبيين تحت قيادة سيف الدين الزنكي صاحب الموصل، الذي تلقّى جيشه هزيمة أخرى سنة 571هـ /1175م، حيث كانت الأشد في تاريخ اللقاءات بين الطرفين، بعد أن قتل الكثير من عساكرهم، وتمّ أسر العديد من الأمراء الزنكيين، وتمكّن الجيش الأيوبي من الاستيلاء على الغنائم كالخزائن، والمطابخ، والإصطبلات، وطيور القماري، وهو أحد أنواع الحمام حسنة الصوت (Ibn Munqidd, 2003: 80)، والبلابل، والببغاء وغير ذلك، فخصّ السّلطان أمرائه، ومن بينهم ناصر الدين محمد بالهدايا، ثم وزّع الباقي على من حضر وشهد وقائع المعركة(Ibn Al Atheer, 2002: 10/74; Ibn Shaddad,1994: 96) .

شهدت سنة 571هـ /1175م مشاركة ابن أسد الدين شيركوه في الحملات العسكرية التي قادها صلاح الدين نحو المناطق المحيطة بحلب، حيث فتحت منبج (بلد قديم في الشام من بناء كسرى بينها وبين حلب عشرة فراسخ، ومن أعمالها قلعة نجم، والرقة)، ومن المواقف البطولية التي أظهرت مدى الشجاعة التي اتّصف بها ناصر الدين محمد، وتفانيه في خدمة ابن عمّه السّلطان صلاح الدين، ما حصل أثناء الحصار الذي فرضه الجيش الأيوبي على مدينة عزاز (مدينة من أعمال حلب، انظر: Alqallansi, N.D.: 221; Ibn Faḍl Allāh Al-Omarī, 2010: 3/369) سنة 571هـ/1175م؛ إذ هاجم الحلبيون جيش السّلطان على غفلة، فسقط منهم فارسًا واحدًا، ومن ثم تم إحضاره إلى السّلطان، حيث أمر بقطع يده ثم عفا عنه إلى أن دخل ناصر الدين محمد، وقال: "ما هذا الفشل والونى، وإن سكتم أنتم فما أسكت أنا ودمدم وزمجر، وغضب وزأر، وقال: "لما لا يقتل هذا الرجل ولماذا اعتقل، فوعظه السّلطان واستعطفه، وسكّن غيضه وتعطفه، وتلا عليه { وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}" (Fater: 18) ، ثم أطلق سراحه (Albindari, 1979: 99; Sibṭ ibn Al Jawzī, 2013: 21/238).

وتظهر بطولة أخرى قام بها ابن أسد الدين شيركوه في سنة 571هـ/1175م ، حيث دلّت بشكل أو بآخر على مدى حرصه في حماية السّلطان من غدر الغادرين، إذ تعرّض السّلطان إلى هجوم شرس نفذّه مجموعة من المتآمرين مع الإسماعيليين الحشاشين: (اسم يطلق على فرقة الاسماعيلية التي كانت تقيم في الحصون الجبلية في الشام خلال الحروب الصليبية. انظر (Jee, 19788: 13/4904-4908)، أثناء أحد العروض العسكريّة، وقد تصدّى عدد من الأمراء لمحاولاتهم في الوصول إلى جسم السّلطان صلاح الدين، واستطاع ناصر الدين محمد من إحباط محاولة أحدهم بالهجوم على السّلطان والنيل منه، حيث تمكّن من الإمساك به، وقتله بالسيف (Albindari, 1979: 99-100).

كان ناصر الدين محمد حاضرًا باستمرار إذا ما نادى السّلطان لجهاد الإفرنج، الذين كانوا لا يتوانون عن مهاجمة أراضي الدولة الأيوبيّة، وما كان يترتب على هجماتهم من نشر الخوف والرعب بين سكان المناطق الشّاميّة الغربية لحدودهم، إذ حصل في سنة 574هـ/1178م أن غدر برنس أنطاكية (مدينة عظيمة من أعمال حلب. انظر: Ibn Faḍl Allāh Al Omarī, 2010: 3/369)، وأغار على شيزر (مدينة مشهورة من أعمال حمص. انظر: Ibn Faḍl Allāh Al Omarī, 2010: 3/368; Alhemyari, 1974: 352) . وعلى منواله ارتكب قومص طرابلس حماقة في حق عدد من التركمان وغدر بهم بعد منحهم الأمان، الأمر الذي دفع السّلطان

صـــلاح الدين على ترتيب مجموعة من الأمـــــراء على الثـــغور المتاخمة لحـــدود مناطقهم، فرتّب ابن عمّه ناصـــر الدين محمد في ثغر حمص لمراقبة تحركات القومص صاحب طرابلـــس ومقاتلته (Al'asfihani, 1987: 3/156; Ibn Wāṣil, 1975: 2/44)، فيما وضع تقي الدين عمر في ثغر حماة، واستدعى كذلك العـــساكر المصريّة لتساعد العســـاكر الشّـــاميّة على الإفرنج (Ibn Shahnshah, N.D.:25; Al'asfihani, 1987: 3/156) .

ولم تقتصر مشاركات ابن أسد الدين شيركوه على قتال الإفرنج، وإنما كان له دورٌ في هدم وتخريب حصون العدو، إذ سارع إلى تلبية نداء السّلطان في المشاركة بهدم حصن بيت الأحزان (بلد بين دمشق والساحل وسمي بذلك لأنهم زعموا بأنه كان مسكن يعقوب عليه السلام أيام فراقه ليوسف عليه السلام، وقد عمّره الإفرنج وبنوا فيه حصن). (انظر: Al Hamwi, 1977: 1/519) وذلك في سنة 575هـ/1179م، حيث اختار ناصر الدين الجانب الملاصق للقسم الشمالي للحصن الذي اختاره السّلطان لنفسه، يقول العماد الأصفهاني: "وأخذ ناصر الدين بن شيركوه بقربه (السّلطان) نقبًا، وأقام له فيه حربًا"(Ibn Shahnshah, N.D.: 28; Al'asfihani, 1987: 3/178).

وحول مشاركة ناصر الدين محمد في هدم بيت الأحزان سنة 575هـ/1179م يتحدث السّلطان صلاح الدين عن براعة ابن عمّه، وذلك من خلال كتاب أرسله من خلال القاضي الفاضل إلى وزير الخليفة العباسي في بغداد، حيث قال: "وكان خادما المجلس السامي ابن أخيه تقي الدين، وابن عمّه ناصر الدين محمد قد جهدا وأثخنا، وبلغا حدّ اليأس وامتحنا .... فمنّ الله تعالى بالشفا، وهذه البشرى بفتح الحصن"(Ibn Al Atheer, 2002: 10/95; Al Maqrizi, 1997: 1/179) .

انضمّ ناصر الدين محمد كذلك إلى جانب ابن عمّه السّلطان صلاح الدين في غزواته على المناطق التابعة للإفرنج سنة 575هـ/1179م وهي: طبرية (تقع في سفح جبل مطل على بحيرة ويخرج منها نهر الأردن، وكانت تعد من أعمال صفد. (انظر: Ibn Faḍl Allāh Al Omarī, 2010: 3/373)، وصور وبيروت، ثم شاركه في الغارات مجددًا على مناطق طبرية، وبيروت، وحرّان، والرها، والرقة (مدينة تقع على شرق نهر الفرات ومن مدنها الرها ورأس العين. انظر: Alastikhri, 1870: 75; Alhemyari, 1974: 270)، والخابور سنة 578هـ/1182م، فنشروا الرّعب والخوف بين صفوف الإفرنج (Albindari, 1979: 19; Ibn Al Adim, 1996: 387;

(Baybers Almansuri, 1993: 4)، وشاركه كذلك في حصار آمد (تقع على نهر دجلة من الشرق. انظر: (Alastikhri, 1870: 75; Shaykh Al Rabwah, 1865: 191) ، وفتحها سنة 579هـ/1183م (Albindari, 1979: 98; Al 'Ayny, 2010: 2/7) .

استمر ابن أسد الدين شيركوه صاحب حمص في دعم السّلطان صلاح الدين عسكريًا متى ما أراد ذلك، إذ نجده يحارب على أكثر من جبهة، وهذه المرة أسرع ليلبي نداء السّلطان في التحضير للاستيلاء على حلب من أيدي المواصلة والحلبيين، والتي أفسد أمراؤها من آل زنكي إدارة شؤونها، فاستغلوا ضعف الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي بسبب مرضه، وأصبحت المدينة كالكرة تتنقل بين أيدي الأمراء الزنكيين، حيث قايض عز الدين حلب بسنجار (مدينة تقع وسط برية ديار ربيعة وفيها أشجار نخيل كثيرة. انظر: (Alastikhri, 1870: 73)، وهي من أهم مدن الجزيرة الفراتية(Ibn Munqidd, 2003: 71)، من أخيه عماد الدين الذي دخل قلعتها سنة 577هـ/1181م. (Ibn Al Atheer, 1963: 181; Ibn Shaddad, 1994: 100; Ibn Al Adim, 1996: 385).

وقد أمر السّلطان جميع أمراء جيشه بالاستعداد والتجهيز، ومراقبة الأحوال، والاطِّلاع على المستجدات بشأن قضية حلب، فأوعز إلى تقي الدين عمر بالتوجه نحو منبج، وأوكل إليه مهمة حفظ المغازي ومنع المعابر، وأن يكون حمامُ حماة في حلب، وحمام دمشق في حماة، وأمر كذلك ابن عمّه ناصر الدين محمد بأن يكون حمام دمشق في حمص وحمام حمص في حلب (Al'asfihani, 1987: 3/156; Ibn Al Adim, 1996: 391; Abo Shāmah, 1997: 3/81)، وعندما وردت أخبار وفاة الصالح إسماعيل ابن نور الدين زنكي صاحب حلب، أصدر أوامره إلى جميع نوابه في المدن الشّاميّة ومن بينهم صاحب حمص، بالتأهب والنهوض والاستعداد لقتال الحلبيين، لاسيما وأنّهم قد أغاروا على مناطق تابعة للسلطان مثل الراوندان (قلعة من أعمال حلب. انظر: Ibn Faḍl Allāh Al Omarī, 2010: 3/369)، كما وراسلوا الإسماعيليين الحشاشين من أجل مساعدتهم على السّلطان وجيشه (Ibn Al Atheer, 1963: 181; Ibn Shaddad, 1994: 99).

قاد ناصر الدين محمد في عام 573هـ/1177م، حركة المقاومة في الدفاع عن ممتلكاته في حمص التي تعرضت إلى هجمات الإفرنج التي أحدثت الخراب والسلب والنهب في كثير من أعمال حمص، وقد تعرّض بعض سكانها آنذاك إلى الأسر والسبي، مما دفع بصاحبها إلى قطع طريق العودة لعساكرهم، حيث أمر بنصب الكمائن، ثم وضع السيف في رقابهم، فقتل أكثرهم، وأسر العديد

من عساكرهم، واستردّ جميع ما سلبوه من أعمال حمص (Al'asfihani, 1987: 3/72; Ibn Al Atheer, 2002: 10/90).

حضر ابن أسد الدين شيركوه المجلس العسكري الذي عقده السّلطان صلاح الدين سنة 578هـ/1182م، من أجل الوصول إلى رأي موحد يقضي باختيار وجهة العساكر الأيوبيّة نحو غزو الموصل أو جزيرة ابن عمر (جزيرة ابن عمر: مدينة صغيرة غرب نهر دجلة). انظر: (Alastikhri, 1870: 75)، أو سنجار، وقد اختلفت الآراء حول هذا الشأن، فأخذ السّلطان حينذاك برأي مظفر الدين كوكبري الذي تشارك معه ناصر الدين محمد في رأيه بغزو الموصل أولاً، وانضمّ ابن شيركوه إلى جانب عساكر السّلطان ومعه مظفر الدين في حصار الموصل ، وقبل دخولها دار حوار بين السّلطان وابن عمّه ناصر الدين، إذ قال له صلاح الدين:" إذا رجعنا إلى المعسكر، فاحمل ما بذلت من المال، فنحن معك على القول، فقال: قد رجعت عما بذلت من المال، فإن البلد لا يرام، فقال له و للمظفر، غررتماني وأطمعتماني في غير مطمع! ولو قصدت غيره قبله لكان أسهل آخذًا بالاسم والهيبة التي حصلت لنا.... ثم رجع إلى معسكره، وصبّح البلد، فنازله وضايقة، فلما رأى صلاح الدين أنه لا ينال من الموصل غرضًا، ولا يحصل على غير العناء والتعب، سار نحو سنجار" (Ibn Al Atheer, 2002: 10/115) ، فبعيدًا عن النتائج التي أفضت بفشل العساكر السّلطانية بدخول الموصل، إلاّ أن ركون السّلطان صلاح الدين لرأي ابن عمّه ناصر الدين في الذهاب إلى الموصل قبل غيرها، لدليل واضح على المكانة الكبيرة التي كان يحتلّها ابن أسد الدين شيركوه في نفس السّلطان، وذلك بسبب تواجده الدائم إلى جانب ابن عمّه السّلطان صلاح الدين.

زاحم ناصر الدين محمد عام 579هـ/1183م، الأمراء المشاركين إلى جانب العساكر السّلطانية في الاستيلاء على حلب من الزنكيين، فسار إلى جانب السّلطان وقاتل ضد العساكر الحلبية، حتى استسلم صاحبها عماد الدين زنكي بن مودة دين زنكي ودخل في طاعة الأيوبيين (Al Maqrizi, 1997: 1/193).

شهد عام 581هـ/1185م حضورًا بارزًا لناصر الدين محمد، وذلك من خلال مشاركته القيادية لجيش السّلطان الذاهب نحو مدن خلاط (Albindari, 1979: 259) ، وميافارقين (من ديار بكر وخصبه ويكثر فيها المياه والعلل والوباء بينها وبين ماردين ثلاثة أيام. (Alastikhri, 1870: 76) خصوصًا بعد أن وصلته الأخبار بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط، فبعد رحيل السِّلطان عن

الموصـــل بعد فتحها، وضع ابن عمّه ابن أسد الدين شيركوه على مقدمة الجيش (Ibn Al 'Ibri, 1997:191; Ibn Wāṣil, 1975: 2/168)، الذي سار نحو خلاط، حيث فرض عليها الحصار، ثم نزل على جانب القُرْب، بعد النصيحة التي أسداها له وزير خلاط مجد الدين ابن رشيق، حيث الجانب الأشد للإرهاب وإثارة الرعب والخوف (Ibn Al Atheer, 2002: 10/132; Ibn Shaddad, 1994: 117)، بينما نزل السّلطان بعساكره على ميافارقين وفرض عليها الحصار، وأمر بنصب المجانيق (مفردهـــا منجنيق وهو آلـــة حربية من آلات الحصـــار. انظر: (Alkhateeb, 1996: 410) ، حتى تمكّن من فتحهـــا سنة 581هـ/1185م، وإلـــى جانبه ناصـــر الدين الـــذي استأذنه بالانضمّام إلـــيه، فجـــاءه وســـاهم فـــي فتحهـــا (Ibn Shahnshah, N.D.: 217; Ibn Wāṣil, 1975: 2/119).

إنَّ المواقف ذات الصبغة العسكرية في أغلبها، والتي التزم بها ناصر الدين محمد تجاه دولة السلطان صلاح الدين لتدل على حرص ابن أسد الدين شيركوه في الوقوف إلى جانب ابن عمه الذي كان يقاتل الإفرنج لأجل الدفاع عن ثرى البلدان الإسلامية، وحمايتها من الغاصبين، وخاصة أنها كانت تتعرض في عهده لهجماتهم المستمرة بسبب استيلائهم على مناطق كبيرة من أراضيها في بلاد الشام.

أما بخصوص الحياة العلمية والثقافية في عهده فلم تسجل المصادر التاريخية أيّة إنجازات لناصر الدين محمد أثناء تولّيه حكم حمص وأعمالها سواء أكان ذلك في الجانب العلمي أم الثقافي، وكان كل ما أشارت إليه كتب الرحالة العرب والمسلمين والمراجع الحديثة ذكر لأبرز المعالم الدينية التي بنيت قبل تسلمه حكم المدينة وما حولها كنائب عن السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث استمرت هذه المعالم تؤدي دورها الديني في عهده إلى جانب مساهماتها العلمية والثقافية من إقامة حلقات العلم داخل أروقة المســـاجد الجامعة كالمسجد النوري الكبير الذي كان يعدّ من أبـــرز الجوامع الكبيرة التي بنيت في حمص زمن الـــسلطان نور الدين محمود بن زنكي، واســـتمر هذا المســـجد في عهد ناصر الدين محمد في نـــشر العـــلم والمعرفة إلى جانب دوره الديني: (Al Idrisi, 2002: 374; Al Mawsili, 1984: 39-40) أما عن المدارس فقد ذكر ابن جبير عند زيارته لحمص أنها بلـــد محدود المدارس، ولم يشـــر إلّا لوجـــود مدرسة واحدة في حمص دون الإفصـــاح عن اسمها، وكذلك لم يرد اسمها أيضاً في المصـــادر العربية الاخرى (Ibn Jubayr, 1964 :232).

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها ما يلي:

1. أجمعت المصادر التاريخية على الرغبة القوية لدى أسد الدين شيركوه في تسلّم ابن أخيه صلاح الدين يوسف زعامة الأسرة الأيوبيّة من بعده، وقد تجسّدت تلك الرغبة بخلافته في منصب الوزارة الفاطميّة في الديار المصريّة.
2. استبعد ناصر الدين محمد بن شيركوه عن تولي منصب الوزارة الفاطميّة خلفا لوالده بسبب تجاهله من قبل الخلافة الفاطميّة من جهة، والسّلطان نور الدين زنكي من جهة ثانية، وأمراء الجيش النوري في مصر من جهة ثالثة، ثم دخولهم في طاعة ابن عمّه صلاح الدين يوسف، الأمر الذي جعله يتقرّب منه، ليصبح أحد أمراء الجيش الأيوبي خلال سلطنة صلاح الدين.
3. حارب ناصر الدين محمد إلى جانب السّلطان صلاح الدين في أغلب الحملات العسكرية التي خاضها في الديار المصريّة ضد الإفرنج والثائرين في وجه حكم ابن عمّه.
4. انضمّ ناصر الدين إلى الجيش الأيوبي في حروبه ضد المواصلة والحلبيين في الشمال الشامي من جهة وضد الإفرنج في الجنوب الشامي من جهة أخرى.
5. احتكم ناصر الدين ابن أسد شيركوه إلى العقل في أغلب الأوقات للحصول على رضا السّلطان صلاح الدين، الذي ملكّه الكثير من الإقطاعات في البلاد الشّاميّة.
6. اتّسمت طبيعة العلاقات بين ناصر الدين محمد وابن عمّه السّلطان صلاح الدين بالوديّة وغلب عليها طابع المودة والمحبة وعلاقة القرابة والمصاهرة في أغلب الأحيان.
7. حاول ناصر الدين استرداد زعامة الدولة الأيوبيّة مستغلاً مرض السّلطان صلاح الدين سنة 581هـ /1185م، ولكن محاولته باءت بالفشل نتيجة تعافي السّلطان من مرضه.
8. أكد السّلطان صلاح الدين على مبدأ التوريث في اقطاعات ناصر الدين محمد لابنه الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الثاني بعد وفاة أبيه سنة 581هـ /1185م.

References:

Al Quran Al Kareem.

A lqazwini, (N.D.) *Zakaria bin Muhamad bin Mahmoud Athar Al Bilad Wa'akhbar Al Ibad*, (D. 682 AH), Beirut: Dar Sader.

Abo Al Fidā, (N.D.), Imad aldeen Ismāʿīl, (D. 732 AH), *Al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bashar*, Al Matbaah Al Husainiyah, Alqahirah.

Abo Shāmah, (1997), Shahab Aldeen ʻAbd al-Raḥmān ibn Ismāʻīl (D: 665 AH), A*l Rawḍatayn fī Akhbār Al Dawlatayn, Taḥqīq: Ibrāhīm Al-Zaybaq*, Bierut: Muʾassasat Al Risālah.

Al 'Ayny, (2010), Bader Aldeen abo Muhammad Mahmoud (D. 855AH), *'Iqd Al Jūman fī Ta'rykh Ahl Al Zamán, Tahqiq:Mahmoud Rizeq Mahmoud*, Alqahirah: Dar Al Kutob Wa al- wathaiq Al Qawmmiyah ,.

Al Dawādārī, (1972), Abo Baker ibn ʻAbed Allāh (D. 736 AH) *Kanz Al-Durar Wa-jāmiʻ Al-Ghurar, Taḥqīq: Saeed Ashur*, Dār Iḥyāʾ Al-Kutob Al ʻArabiyyah, Alqahirah .

Al Dhahabi (2004), Shams Aldeen Muhammad bin Ahmed (D. 748 AH), *Sayer 'Aelam Alnubla'*, Beirut: Bait Alafkar Al Dawliyah,.

Al Dhahabi, (1985), Shams Aldeen Muḥammad bin Ahmed, (D. 748 AH) *Al`Ibar fī Khabar man Ghabar*, Beirut: Dār Al Kutob Al ʻIlmiyyah.

Al Dhahabi, (1996), Shams Aldeen Muhammad bin Ahmed (D. 748 AH), *Tarykh Al'islam Wawafayat Almashahir Wal'aelam, Taḥqīq: Abed Alsalam Tedmuri*, Beirut: Dar Alkitab Alarabi.

Al Hayek, (2011), Munzer, Al'aser Al'ayubi (Qaren min Alsir'at Alddakhiliah), *Dar sader Li 'aldirasat W'alnasher, Dimasheq*.

Al Idrisi, (2002) *Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad Al-Husseini, Nuzhat Al Mushtaq fi Aikhtiraq Al Afaq*, Alqahirah: Maktabat Al Thaqafat Al Diyniati.

Al Maqrizi, (1997), Taqi Aldeen Ahmad bin Ali, (D.845 AH), *Al Suluk Limaerifat Duwal Al Muluk, Tahqiq: Muhmmad Abed Al Qader Ata*, Beirut: Dar Al Kutob Al Elmiyah.

Al Mawsili, (1984), Muhammadbin Majid, Tarikh Madinat Hims, Watharha, N.P., Hims.

Al Nuʻaymī, (1990), Abed Al Qādir bIn Muḥammad, (D. 978 AH), *Al Dāris fī Tārykh Al Madāris* , Beirut: Dār al-Kutob Al Ilmiyah.

Al Nuwayrī, (2004), Shihāb Aldeen Ahmad bin 'Abd Al Wahhāb, (D. 733 AH), *Nihāyat Al Arab fī Funūn Al Adab, Tahqiq: Najeeb Fawaz*, Beirut: Dār Al Kutob Al ‘Elmiyah.

Al Safadi (2000), Salah Aldeen Khalil bin Aybak (D. 764 AH), *Al Wafi bil Wafiyat, Tahqiq: Ahmed Al Arnaout*, Beirut: Dar Ihya Al Turath Al Arabi.

Al Yafii, (1997), Abo Muḥammad Abed Allah ibn Asad Al Yamani, (D. 768 AH), *Mirat Al Jinan*, Beirut: Dār Al Kutob Al ‘Elmiyah,.

Al Zubaidi, (1969), *Al Murtada Muhammad,Tarweeh Alqulub fi Zeker bani Ayyuob, Taḥqīq: Salah Aldeen Al Munjed*, Beirut: Dar Al kitab Al Jadeed,.

Al'asfihani, (1987), Imad Aldeen Alkatib, (D. 597 AH), *Al Barq Al Shami, Taḥqīq: Falihh Husain*, Muasasat Abed Alhameed Shawman, Amman.

Alastikhri, (1870), Abo 'Iishaq Ibrahim bin Muhmmed, (D. 346 AH), *Masalik Mlmamalik*, Matbaat Brill, Leeden.

Albindari, (1979), AlfatIh bin Ali, Sana Albarq Alshami, (D. 643 AH), *Taḥqīq: Fathyeh Alnibrawi*, Alqahireh: Maktabat Alkhaniji,.

Alhemyari, (1974), Abo Abedellah Muhammad bin Abedellah bin Abed Almuneim, (D. 900 AH*), Alrawd Almietar fi Khabar Al'akhbar, Taḥqīq: Ihsan Abass*, Beirut: Maktabet Libnan.

Alkhateeb, (1996), *Mustafa Abed Al Kareem, Moajamm Al Mostalahat Wa Al alqap Al Tarikhiyah*, Muassat Al Resala , Beirut.

Bawaneh, (2012), Loay, Al Anagreh, Muhammad, Dawr Al'umra' Al'uyubiayn fi Alhukom Walidareh fi Alahed Asalahi, *Majalat Alshariqah Lil Aolum Al'insaniah Walaijtimaiyah, Adad: 3, Mujalad: 9, Jamiat Mutah. Al Karek.*

Baybers Almansuri, (1993), Ruken Aldeen Baybers Alnasiri Almasri, (D. 735 AH), *Mukhtar Alakhbar, Taḥqīq: Aded Alhameed Salieh Hamdan*, Alqahireh: Aldar Almasriyeh Al lobnaniyeh,.

Ibn Al Adim, (1991), Kamal Aldeen Omar bin Ahmed bin AbiJarada (D. 660 AH), *Zubdat Al Halib min Tarykh Haleb*, Dimasheq: Dar Al Fikr.

Ibn Al Atheer, (1963), Ali bin abi Al Karem Muhammad ibn Muhammad Al-Shaybani, (D. 630 AH), *Al Tārīkh Al Bāhir fī Al Dawlah Al Atābakīyah, Taḥqīq: abed Al Qadir Ahmed Tulimat*, Alqahirah: Dar Al Kutob Al Haditheh.

Ibn Al Atheer, (1987), Abu Al-Hasan Ali ibn Abi Al Karm, (D. 630 AH), *Al kamil fi Al Tarykh*, Abu Al Fida Abdullah Al-Qadi's investigation, Beirut: Dar Al Kutob Al Elmiyah.

Ibn Al 'Ibri, (1997), Grigorious abo Al Faraj ibn Ahron Al Malti, (D. 685 AH), *Tarikh Mukhtasar Al Duwal Al Maruf Bitarykh ibn Al 'Ibri*, Beirut: Dar Al Kutob Al Elmiyah,.

Ibn Al ʿImād Al Ḥanbalī, (1991) Shahab Al Deen Abū Al Falāḥ (D. 1089 AH) , *Shadharāt Al Dhahab fī Akhbār man Dhahab , Taḥqīq: Abed Al Qader Al Arnauot*, Dimasheq: Dar ibn Kathir.

Ibn Al Qallansi, (1908), Abo yela hamzah bin Asd Al Tamimii, (D. 555 AH), *Tarykh Dimasheq*, Beirut: Matpat Al Abaa Alyasueiiyn.

Ibn Al Wardi, (1996), Zayn Al Diyn Omar bin Muzafar, (D. 749 AH), *Tarykh ibn Al Wardi*, Beirut: Dar Al Kutob Al Elmiah,

Ibn ʻAsākir, (1995), Abo Al Qasim Ali ibn Al-Ḥasan (D. 571 AH), *Tārīkh Madinat Dimashq, Taḥqīq: Omar Al 'Amrawi*, Beirut: Dār Al Fikr.

Ibn Faḍl Allāh Al Omarī, (2010), Shihāb Aldeen Aḥmad bin Yahia, , (D. 749 AH), *Masālik al-abṣār fī mamālik al-amṣār, Taḥqīq: Kamel Al Juboori*, Beirut: Dār Al-Kutob al-ʻElmiah.

Ibn Jubayr, (1964). *Abu al-Hasan Muhammad ibn Ahmad*, Rihlat ibn Jubayr, Beirut: Dar Sader.

Ibn Kathīr, (1998), Abu Al Fiḍā Imād Aldeen Ismāʻīl ibn Omar Al Damishqī, (D. 774 AH), *Al Bidāya Wa-n-Nihāya, Taḥqīq: Abdullah ibi Almuhsin*, Alqahirah: Dar Hagr.

Ibn Khallikan, (1969), Abo Al Abass Shams Aldeen Ahmed bin Mohammed, (D. 681 AH), Wafyyat Al Ayan, Wafiat Al'aeyan Wanba' 'Abna' Alzaman, Taḥqīq: Ihsan Abass, Beirut: Dar Sader.

Ibn Munqidd, (2003), *Ausameh Alkinani*, (D. 584 AH), Al Itibar, Beirut: Al Makteb Al Islami,.

Ibn Shaddad, 1994), Bahaa Aldeen, (D, 632 AH), *Alnawadir Alsultaniat Walmuhasin Alyusifia, Taḥqīq: Jamal Aldeen Al Shiyal*, Alqhirah: Maktabet Al Khanji.

Ibn Shahnshah, (N.D.), Muhamad bin Taqi Aldeen Omar (D. 617 HD), *Midmar Al Haqayiq Wasir Al Khalayiq,Taḥqīq:Hasen Habashi*, Alqahirah: Alem Al Kutob,

Ibn Taghri Bardi, (1936), Jamal Aldeen Abi Al Mahasen Yuosef (D. 874 AH), *Alnujum Alzaahirath fi Muluk Maisr Walqahirah, Matbaet* . Dar Al Kutob Al Misriah, Al Qahirah.

Ibn Wāṣil, (1975), Abo ʿAbd Allāh Jamāl Aldeeīn Muḥammad ibn Sālim, (D. 697 AH), *Mufarrij Al kurūb fī Akhbār banī Ayyūbb, Taḥqīq: Hasanian Mohmmad Rabi,* Alqahirah: Dar Al-kutob Wal Wathaiq Al Qawmmiyah.

Okleh, (2014) Issam, Tawwahia, Fawzi, Almalek Almuzafar Taqiu Aldeen Omar Al'ayubi Wadawroho fi AldawlaH Al'uyubia, *Al Majelah Al Urdoniyah Lltatykh Walathar*, Adad:3+4, Mujalad: 8, Al Jameh Al Urdoniyah, Amman.

Shaykh Al Rabwah, (1993), Shams Aldeen Muḥammad ibn Abī Ṭālib (D. 727AH), *Nukhbat Al Dahr fī ʻAjā'ib Al Barr Wa-al-baḥr*, Matbat Al Akadimyah, Biterborgh.

Sibṭ ibn Al Jawzī, (2013), *Yūsuf ibn Qizughlī (D. 654 A.H)*, Mir'āt Al Zamān fī Tariykh Aliʻyān, Tahqiq: Abraheem Al Zibaq, Al Risālah Al ʻĀlamīyah, Dimasheq.

Tawwahia, (2010), Fawzi, Al'iiqta Al Askari (Alharby) fi Bilad Al Shaam fi Alaser Al'uyubii, *Al Majelah Al Urdoniyah Lltatykh Walathar*, Adad:3, Mujalad: 6, Al Jameh Al Urdoniyah, Ammam.

Lexicon and Encyclopedias:

Jee, (1988), Brill, Mujaz Dayirat Almaearif Al'iislamiah,

Tahrir 'Iibrahim Khurshid Wa'akhrun, Matabie Alhaiyah Almisriyah Al Amah, Alqhirah.

Al Hamwi, (1979), Shihab Aldeen Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah (D.626 AH), Mujam Al Buldan, Dar Sader, Beirut.

Omar, (2008), Ahmad Mukhtar, Mujam Al Lughah Al Arabiyeh Al Muasirah, Alam Al Kutob, Alqahirah.